الإهــداء

إلى رحابك دبجّنا
تكاد تُحرق من أشواقنا
يا قارئ الحرف
وقبلها قد بعثنا الدمع
شوقاً إليك فهل
مهراً وإلا بعثنا القلب
فغيرنا بمداد الحبر قد
ومن دمانا كتبنا الشعر

عنــوان الـمؤلـــف

أنا الحجاز أنا نجد أنا

أنا الجنوب بها دمعي

وفي ربى مكة تأريخ

على ثراها بنينا العالم

في طيبة المصطفى

هناك ينسج تاريخي

بالشام أهلي وبغداد

بالرقمتين وبالفسطاط

النيل مائي ومن عمان

وفي الجزائر إخواني

والوحي مدرستي

بدايتي وبه قد شع قرآني

وثيقتي كتبت في

آياتها فاقرؤوا يا قوم

فأينما ذكر اسم الله

عددت ذاك الحمى من

العنــوان
حـي الرحمانية – ص . ب 379 – الرمز البريدي 11321
تليفـون : 4195398 فاكس : 4196663
جـوال : 055222000

مـقـدمـــة المقـامَــات

﴿ بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾

الحمد لله وليّ النعمة ، دافع النقمة ، ما غرّد طائر بنغمة ، وهبّ صبح بنسمة، وتلألأت على ثغرٍ بسمة ، والصلاة والسلام على من زيّن ببيانه الكلام ، وأذهل بفصاحته الأنام، وطرق بوعظه الأيام ، سلالة النجب ، وصفوة العرب، أجلّ من خطب ، صاحب الحسب والنسب ، محطم الأصنام والنصب ، وعلى آله والأصحاب ، ما لمع سراب ، وهمع سحاب ، وقرئ كتاب ، وبعد :

فقد أشار عليّ الشيخ الأريب ، والشاعر الأديب ، الدكتور / أحمد بن علي القرني الأستاذ بالجامعة الإسلامية بكتابة مقامات ، هي على الفضل علامات ، فقلت له صاحب ذلك قدْ مات ، ولم يبق إلا حاسد وشمّات .

فذكرني بشريط مصارع العشّاق ، وقال : كلّ لمثله مشتاق ، فإنه للقلوب ترياق ، وليس لك عذر ولو التفت الساق بالساق ، وأحضر لي من حرصه الدفاتر ، والخاطر قبل مجيئه فاتر ، فأجّلت تفكيري ، وقد اشتعل في ليل رأسي صبح نذيري ، وقد سبقني لهذا الهمداني والحريري ، ولكن على الله المعوّل ، وكما قال الأول :

ولو قبل مبكاها بكيت لكنتُ شفيت النفـس
صـــــــــــــبابة قبـــــل التنـــــدمِ
ولكـــن بكـــت قبلـــي بكاهـا مكـان الفضـلَ

وقد قلت لصاحبنا لا جرم أنك استسمنت ذا ورم ، وهذه سنة أهل الكرم ، والخاطر شذر مذر ، من شـجون لا تبقـي ولا تذر ، ولا أقول بعدت علينا الشقة ، ولكـن كمـا قـال أبـو الطيب : لولا المشـقة ، واعـرف أن مـن البشـر ، كشـجرة العشر ، أعدى من السوس ، وأشـأم مـن البسـوس ، يـأتي

على غرة ، ويبحث عن العثرة ، ويقص الجُرّة ، ولو اعتذرت لنا عنده سبعين مرة .

فـأقول للمـادحين ، كونـوا ناصـحين ، وكمـا قيـل فعيـن الرضا ، والمحب يمشي على جمر الغضا ، وأقول للقادحين ، كونـوا مـازحين ، وتـذكروا : وإذا أتتـك مـذمتي ، واجعلـوا الخطأ في ذمتي ، فقد شابت لمتي ، فإن عثر جواد بيـاني ، وتلعثم لساني ، فالعيب من زمـاني ، فمـا أدركـت حسّـان ، وما صاحبت سحبان ، وما دخلت على النعمان ، ومـا لقيـت صُنّاع الألفاظ ، في سوق عكاظ . ولكنني مع أقـوام ، علـى الأدب أيتام ، كلما لمع فيهـم متكلـم وظهـر ، وقـال إن اللـه مبتليكم من البيان بنهر ، قالوا إنما يعلمه بشر ، ولولا سواه ما اشتهر ، فيقول الحال : لكل عين قذى ، ولن يضروكم إلا أذى ، فجِدّوا كما جَدّوا ، أو سُدوا المكان الذي سَدوا . فكـم نال الحساد صاحب الأدب ، وأنه ليس له في البلاغة نسب ، وما له في الفصاحة حسب ، وجاءوا على قميصه بدم كـذب .

وكم انبعث من أهل البلادة أشقاها ، فصاح بهـم رسـول البيان ناقة اللـه وسـقياها . وعسـى عصـا موسـى البيـان ، تكسر رأس فرعون الطغيان .

وإذا ألقى قميص يوسف الملاحـة ، علـى بصـر يعقـوب الفصاحة ، نادى لسان حال المتكلمين : ادخلوا مصر الإبداع آمنين . وقد طاولت بهذه المقامات قامـات ، ولامسـت بهـا هامـات ، وكلمـا قـابلني هامّـات وطامّـات ، قلـت : أعـوذ بكلمات الله التامّات .

وسوف يقرؤها صاحب ورع بارد ، وذهن جامد فيتأفف ، ويتأسـف ، ويقـول الرجـل تكلّـف وتعسّـف ، فـأقول : مـاذا بعشـك يـا حمامـة فـادرجي ، فقـد جعلـت القلـم واللسـان أوسي وخزرجي ، وعلمت أنه مع كل بانٍ هادم ، ومن راقب الناس فهو النادم ، وقد عاب المخلوق الخالق فقال تعالى : (يسبني ابن آدم) .

وإذا أراد الله لعمل بشر أن ينتشر ، قيض اللـه لـه أهـل خيـر وشـر ، فصـاحب الخيـر لـه نصـير ، وظهيـر ، وخفيـر ، ووزير .

وصاحب الشر سبّاب عيّاب ، له من الحسـد نـاب ، ولـه من العداوة مخلاب .

وانظر إلى المعصوم ، كيف ابتلي بالخصوم ، شـق اللـه له القمر ، فقـالوا هـذا سـحر مسـتمر ، ولمـا جمـع قريشـاً وخطبها ، قالوا أساطير الأولين اكتتبها .

وأسـأل اللـه أن يجعـل هـذه المقامـات ، بكـل فضـل ملمّـات ، وأن يجعلهـا بالحسـن رائعـة ، وبالفضـل ذائعـة ، وبالبر شائعة ، وبالأنس ماتعة ، وبالنور سـاطعة ، وبالجمـال لامعة ، ولكل خير جامعة ، وعن كل سـوء مانعـة ، وللجـدل قاطعة .

محلاة بالفوائـد ، مزينـة بالقلائـد ، متوّجـة بالفرائـد ، مزدانة بالشوارد ، كالماء الزلال لكل صادر ووارد ، تضمرها العقائد ، وتنشرها القصائد ، وصلى الله وسلم علـى صـفوة الحواضر والبـوادي ، الـذي تشـرفت بـذكره النـوادي ، فهـو الهادي ، وإلى كل فضل منادي ، وعلى آله البررة ، والأربعة الخيرة ، وبقية العشرة ، وأهل الشجرة .

بين يــدي المقـامَــات

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾

إلهي : أسألك بالاسم الأعظم ، والوصف الأكرم ، أن تنير لي الطريق المظلم . أسألك نعمة تدفع بها نقمة ، وعلماً تؤيده رحمة ، وموهبة تقيدها حكمة ، وأملاً يدفع اليأس ، ورعاية ترد البأس ، اللهم ارحم العَبْرة ، وأقلِ العثرة ، وأزل الحسرة ، واكشف عنا حجب الضلالة ، وسحب الجهالة ، حتى نبصر آيات عظمتك بعيون اليقين ، ونقرأ أسطر صنعك ببصائر الموحدين ، اللهم أيدنا بعز سلطانك ، وأكرمنا بفهم برهانك ، أعوذ بك من زلّة ، توجب ذِلّة ، وعثرة قدم ، توجب الندم ، ونسألك إخلاص النية ، وكرم الطوية ، وندعوك بلسان الاضطرار ، أن تفتح لحكمتك منا الأسماع والأبصار ، وأن تنير بوحيك مظلم الأفكار ، وما اسود من الأسرار .

وبعـد : فقد سبقني إلى هذا الفن أعلام ، لهم في الحكمة أقدام ، وفي حومة البيان أعلام ، وفي طروس الفصاحة أقلام . فمنهم من خص بمقاماته الأدب ، وثانٍ في ذكر من ذهب ، وثالثٌ في الحب ، ورابعٌ في الطب .

أما أنا فأطلقت للقلم زمامه ، وسَرَّحت خطامه ، وأزحت لثامه ، ليكتب في فنون ، ويسيل في شجون ، ذاكراً من سلف ومن خلف ، آخذاً من كل حكمة بطرف ، وربما لمحت في المقال ، بعض الخيال ، فلا تُبدِ لنا قسوة ، فلي في ذلك أسوة ، فإن الأمم استنطقت الجمادات ، واستفهمت العجماوات ، وقوّلت الكلامَ الحيوانات ، وكلّمت الأطلال ، ونسبت الحديث إلى الشجر والتلال ، تعريضاً وتلميحا، ونسبة وتصريحا .

وللعجم من ذلك ما يبهر ، ككتب بزجر جمهر ، وللروم في ذلك تآليف ، وللهنود في هذا الفن تصانيف ، ورأيت كتب اليونان ، وصاحب الإيوان ، والمانوية من أسلاف اليابان ، كلها تنسب القول للحيوان ، وتضيف وتنقل الخطاب بغير الإنسان ، حُبّاً للسلامة ، وخوفاً من الندامة .

ثم جاء العرب ، روّاد الأدب ، فأطربونا بكلام الحمام ، في الحب والغرام ، ونقلوا في الأمالي ، عتاب الطلل البالي ، وأتحفونا بحِوار الأطيار ، وإظهار أسرار الديار ، حتى أسندوا الأخبار للأشجار .

فيا صاحب الدراية ، إن رأيت في هذه المقامات رواية ، فقد قصدت النفع ، ومن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل ، وقد أحلتك على ما سلف ، ومن أحيل على مليء فليحتل.

وقد جانبت في هذه المقامات التجريح ، سواءً بالتلميح أو بالتصريح ، ودبجتها بالثناء والمديح ، لأن القول اللين ، والخلق الهين ، يجلب الود ، ويزيل الصد ، وكسر القلوب غلط ، وجرح المخاطَب شطط ، فهنا ملاينة لا مداهنة ، وليس الخبر كالمعاينة ، ومداراة لا مجاراة ، ولي في هذه المقامات رسائل ، ومن العلم مسائل .

وفيها عبر وسير ، وأشعار وأخبار ، وشجون وفنون ، وفكاهات وملاطفات ، ومشجيات ومبكيات ، ومحفوظات وعظات ، فلا تحكم بمقامة على كل المقامات ، بل طالع الجميع ليكون حكمك موات ، فإن الروض ألوان ، والشجر صنوان وغير صنوان ، والتنويع مدعاة لإثارة الذهن البارد ، ولن نصبر على طعام واحد .

وقد جانبت فيها الهمز ، والغمز واللمز ، فلا مصلحة لنا في التعرض للأشخاص والأجناس ، أو تتبع عثرات الناس ، بل نحن أحوج إلى جبر القلوب ، ودفن العيوب ، لأن مرد الكل إلى علام الغيوب . ومن وجد نقصاً فليعف عنا ، ومن غشنا فليس منا .

خذها من القلب لو أن

ثيـابه بسـناها المشـرق

لصـــار نـــوراً كـــأن

والبـــدر وَمْضـــته فـــي

وقد قرأت هذه المقامات على علماء وأدباء ، وشعراء وفضلاء ، طلباً للاستفادة ، وحرصاً على الزيادة ، وقد استفدت من كل جمع ضم مجلسنا ، وشاورت كل صاحبٍ كان يؤنسنا ، لأن مشاورة الأخيار ، تلقيح للأفكار ، وفي يوم الثلاثاء 21/5/1420هـ اجتمعنا بشيخنا العلامة الفطين ، صاحب الدر الثمين ، محمد الصالح بن عثيمين ، **وكان اللقاء في الرياض ، والأنس قد فاض ، فقرأت عليه مقدمة المقامات ، فاستحسن ما أوردته من كلمات ، ثم قرأت عليه المقامة النحوية ، وبها لطائف نديّة ، فأضاف بعض الإضافات ، وأتحفنا ببيت من المحفوظات . نقلته في تلك المقامة ، من ذلك العلامة . وعسى ربي أن ينفعني بما كتبت ، وأن يحقق لي ما أمّلت ، من الفوز برضوانه ، وسكنى جنانه ، فقد اتصف بالعفو وكتبه ، ورحمته سبقت غضبه :**

ولـــو سُـــفكت منـــا لطِرنا مع الأشـــواق